

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذُلَّ وَنَخْرِبَ ﴿١٣٦﴾ قُلْ كُلُّ مُرْسِلٍ فَكَّرِيماً فَتَعَلَّمُونَ مِمَّنْ أَحْبَبَ الْفِرَاطِ السَّوِيَّ وَمِمَّنْ أَمْتَدْنَا ﴿١٣٧﴾.

قرى: ﴿نَزَلَ وَنَخْرِبُ﴾ على لفظ ما لم يسم فاعله ﴿كل﴾ أي: كل واحد منا ومنكم ﴿متربص﴾ للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم. وقرى: السواء بمعنى: الوسط والجيد، أو المستوي، والسوى والسوأي والسوء تصغير السوء، وقرى: فتمتعوا فسوف تعلمون. قال أبو رافع: حفظته من رسول الله ﷺ: «عن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار،⁽³⁾ وقال: لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه، ويس»⁽⁴⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء مكية

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّذْمَرُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا سَتَمُوهُ وَمُحَرِّمُونَ ﴿٢﴾

هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة «لاقترب» أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كقولك: أرتف للحبي رحيلهم، الأصل أرتف رحيل الحي، ثم أرتف للحبي الرحيل، ثم أرتف للحبي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر، توكيداً عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك، ومنه قولهم: لا أبأ لك، لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول، والمراد: اقترب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب، وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق.

فإن قلنت: كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام؟ قلنت: هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾⁽⁵⁾ ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾⁽⁶⁾ ولأن كل أت وإن طالقت أوقات استقباله وترقبه قريب، إنما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولأن ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها، بدليل انبعث خاتم النبيين

وصفاً لهم بأنهم زاهر، وهذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتشرف في الثياب ﴿لنفتنهم﴾ لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه⁽¹⁾ ﴿ورزق ربك﴾ هو ما أخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وألوم، أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة، أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال ﴿خير وأبقي﴾ لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث. والحرام لا يسمى رزقاً أصلاً، وعن عبد الله بن قسيط، عن رافع قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى يهودي وقال: «قل له يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب». فقال: وأ الله لا أقرضته إلا برهن، فقال رسول الله: «إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض أحمل إليه درعي الحديد»⁽²⁾ فنزلت ﴿ولا تمدن عينيك﴾.

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا مِّن رَّبِّكَ وَالْمَوْئِبَةُ بِالْقَوْمِ ﴿١٣٧﴾.

﴿وامر أهلك بالصلاة﴾ أي: وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم، ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسالك أن ترزق نفسك ولا أهلك، ففرغ بآلك لامر الآخرة، وفي معناه قول الناس: من دان في عمل الله كان الله في عمله، وعن عروة بن الزبير: أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين. قرأ: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ الآية، ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمة الله، وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا، بهذا أمر الله رسوله، ثم يتلو هذه الآية.

وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا يَايُرَ مِّن رَّبِّهِ أَوْلِمَّ تَأْتِيهِم بَيْنَهُ مَا فِي السُّحُوفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٨﴾.

اقترحوا على عبادتهم في التعنت آية على النبوة فقبل لهم: أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني: القرآن. من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة، وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة. وقرى: الصحف بالتخفيف. نكر الضمير للراجع إلى البينة لأنها في معنى: البرهان والدليل.

(3) ذكره ابن مربي في تفسيره، الزيلعي (2/356).

(4) ذكره الثعلبي في تفسيره الزيلعي (2/356).

(5) سورة الحج، الآية: 47.

(6) سورة الحج، الآية: 47.

= ما أباح له تناوله وما لا، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، والله الموفق للصواب.

(1) سورة القصص، الآية: 80.

(2) كشف الاستار كتاب، البيوع، باب: القرض والبيع إلى أجل

(الحديث رقم: 1304).

خفية، فما معنى قوله: «وَأَسْرَوْا؟ قُلْتُ: معناه وبالفوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث لا يظن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون. أبدل «الذين ظلموا» من «وَأَسْرَوْا» إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به، أو جاء على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أو هو منصوب المحل على الذم، أو هو مبتدأ خبره «وَأَسْرَوْا النجوى» قَم عليه، والمعنى: وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمّر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم «هل هذا إلا بشر مثلكم افتاتون السحر وأنتم تبصرون» هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى. أي: وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمراً. اعتقدوا أن رسول الله ﷺ لا يكون إلا ملكاً وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر، ومعجزته سحر فلذلك قالوا: على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر.

فإن قُلْتُ: لِمَ أسروا هذا الحديث وبالفوا في إخفائه؟ قُلْتُ: كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم، والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه، وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شورايم ويتجاهدوا في طي سَرهم عنهم ما أمكن وأستطيع، ومنه قول الناس: «استعينوا على حوائجكم بالكتمان»⁽²⁾، ويرفع إلى رسول الله ﷺ. يجوز أن يسروا نجوايم بذلك ثم يقولوا لرسول الله ﷺ والمؤمنين: إن كان ما تدعونه حقاً فاخبرونا بما أسرنا؟

فإن قُلْتُ: هلا قيل: يعلم السر لبقوله: «وَأَسْرَوْا النجوى» قُلْتُ: القول عام يشمل السرّ والجهر فكان في العلم به العلم بالسرّ وزيادة، فكان أكد في بيان الاطلاع على نجوايم من أن يقول: يعلم السرّ كما أن قوله يعلم السرّ أكد من أن يقول يعلم سرهم. ثم بيّن ذلك بأنه السميع العليم لذاته، فكيف تخفى عليه خافية⁽³⁾.

فإن قُلْتُ: فلم ترك هذا الأكّد في سورة الفرقان في قوله: «قل أنزله الذي يعلم السرّ في السموات والأرض»⁽⁴⁾ قُلْتُ: ليس بواجب أن يجيء بالأكّد في كل موضع، ولكن يجيء

الموعود مبعثه في آخر الزمان. وقال عليه السلام: «بعثت في نسم الساعة»⁽¹⁾. وفي خطبة بعض المتقدّمين: ولت الدنيا حذاء ولم تبق إلا صبابة كصبابة الإناء، وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلّة وقصر الذرع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس: المشركون، وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه؛ للدليل القائم، وهو ما يتلوه من صفات المشركين.

وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم، ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بدّ من جزاء للمحسن والمسيء، وإذا قرعت لهم العصا ونهبوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا، وسدّوا أسماعهم ونفروا.

وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه، وإيقاظ الموقظ بأنّ الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً، ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرّر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون، فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجدّ الجد إلا لعباً وتلهياً واستسخاراً. والذكر: هو الطائفة النازلة من القرآن. وقرأ ابن أبي عبيدة «محدث» بالرفع صفة على المحل.

لَا يَمِينَةَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيظُ ﴿٤١﴾

قوله: «وهم يلعبون» «لاهيمة قلوبهم» حالان مترادفتان أو متداخلتان، ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة؛ لأنّ لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم، واللاهيمة من لها عنه إذا نهل وغفل، يعني: أنهم وإن فطنوا، فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلاً، وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمّل والتبصّر بقلوبهم.

فإن قُلْتُ: النجوى وهي اسم من التناجى لا تكون إلا

= العليم وهو لا يشعر، وليس غرضنا في هذا المصنف سوى الإيقاظ لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البعد ليتجنّبها الناظر، وأمّا الالة الكلامية فمنّ فيها تتلقى، وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزعات مختلف، فمرة يوردها عند كلام يتخيل في ظاهره إشعاراً بفرضه، فوظيفتنا معه حينئذ أن ننازع في الظهور، ثم قد نترقى إلى بيان ظهوره في عكس مراده أو خصوصيته، حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما، وقد يلجئنا الإنصاف إلى تسليم الظهور له، فننكر وجه التاويل الذي يرشد إليه دليل العقل، ومرة يورد نبذاً من هذا الرأي عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه، وغرضه التعسف حتى لا يخلو شيئاً من كلامه من تعصب وإصرار على باطل، فننتبه على ذلك أيضاً، وما نكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه.

(4) سورة الفرقان، الآية: 6.

(1) كشف الاستار كتاب: المواعظ، باب: اقتراب الساعة (حديث رقم 3215)، ورواه أبو نعيم في الحلية 161/4، وأخرجه الترمذي في كتاب: الفتن، باب: ما جاء في قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة (حديث رقم 2213)، وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق (حديث رقم 14، 2967).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب: في الحث على ترك الغل والحسد (حديث رقم 6655).

(3) قال أحمد: وهذا من اتباع القرآن للرأي نعوذ بالله من ذلك، لا سيما رأي ينفي صفات الكمال عن الله تعالى، وما الذي دل عليه السميع العليم من نفي صفتي السمع والعلم في تفسيرهما بذلك، مع أنه لا يفهم في اللغة سميع إلا يسمع، ولا عليم إلا يعلم، فإنها صفات مشتقتان من مصادر لا بدّ من فهمها وثبوتها أولاً، ثم ثبوت ما اشتقت منه. ومن أنكر السمع والعلم، فقد سارع إلى إنكار السميع =

الجسد لإرادة الجنس كأنه قال: نوي ضرب من الأجساد، وهذا رد لقولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام؟

فإن قلت: نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشراً يأكل ويشرب بما نكرت فمأذراً من قولهم بقوله: ﴿وما كانوا خالدين﴾؟ **قلت:** يحتمل أن يقولوا: إنّه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت، أو يقولوا: هلا كان ملكاً لا يطعم ويخلد، إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلوداً.

﴿مُ مَّ صَدَقْتَهُمُ الرِّعَادَ فَأَظْلَمْتُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكَكَ الْمَشْرِيفِينَ﴾^(١).

﴿صدقتناهم للوعد﴾ مثل: واختار موسى قومه، والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال، وصدقني سن بكره ﴿ومن نشاء﴾ هم المؤمنون ومن في بقاءه مصلحة.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

﴿نذكركم﴾ شرفكم وصيتكم كما قال: وإنه لنذكر لك ولقومك، أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء، أو حسن الذكر كحسن الجوار، والوفاء بالعهد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة والسخاء، وما أشبه ذلك.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٣).

﴿وكم قصمنا من قرية﴾ واردة عن غضب شديد ومناياة على سخط عظيم؛ لأن القصم أقطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف القصم، وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم، وقال: ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ لأن المعنى: أهلكتنا قوماً وأنشأنا قوماً آخرين. وعن ابن عباس أنها: «حضور». وهي «سحول» قريتان باليمن تنسب إليهما الثياب، وفي الحديث: «كفن رسول الله ﷺ في ثوبين سحوليين»^(٤). وروي: حضوريين. بعث الله إليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر، كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم، وروي: أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى منادي من السماء: يا لثارات الأنبياء. ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم؛ وظاهر الآية على الكثرة. ولعل ابن عباس نكر «حضور» بأنها إحدى القرى التي أَرادها الله بهذه الآية.

﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾^(٥).

فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حسن ومشاهدة، لم

بالوكيد تارة وبالأكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره، ليفتن الكلام افتناناً وتجمع الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى، فكانه أراد أن يقول: إن ربي يعلم ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة، وشم قصد وصف ذاته، بأن إنزاله الذي يعلم السر في السموات والأرض فهو كقوله: ﴿علام الغيوب﴾^(١)، ﴿عالم الغيب﴾^(٢)، ﴿لا يعزب عنه مثقال نزة﴾^(٣). وقرئ: ﴿قال ربي﴾ حكاية لقول رسول الله ﷺ لهم: «أضربوا» عن قولهم: هو سحر إلى أنه تخاليل أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل للجلج، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد، ويجوز أن يكون تنزيلاً من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد، وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث.

﴿بَلْ قَالُوا أَضَلُّنَا أَهْلَكُم بِكُلِّ آفَاتِهِ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِنَايِهِ كَمَا أُتِيَ الْآلُونَ﴾^(٤).

صحة التشبيه في قوله: ﴿كما أرسل الأولون﴾ من حيث أنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات، إلا ترى أنه لا فرق بين أن تقول: أرسل محمد ﷺ وبين قولك: أتى محمد بالمعجزة؟

﴿مَا آسَأْت قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكْتَهُمْ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾^(٥).

﴿أفهم يؤمنون﴾ فيه أنهم أعني من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات، وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها، فلما جاءتهم نكثوا أو خالفوا فاهلكهم الله، فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦).

أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر، وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرًا، ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا، وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا﴾^(٧) فلا يكادبونهم فيما هم فيه ردة لرسول الله ﷺ.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾^(٨).

﴿لا يأكلون الطعام﴾ صفة لجسداً، والمعنى: وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله نوي جسد غير طاعمين، ووحد

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الثياب البيض للكفن (حديث رقم 1264) وأخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في كفن الميت (حديث رقم 456 - 941).

(١) سورة التوبة، الآية: 78.

(٢) سورة الرعد، الآية: 9.

(٣) سورة سبأ، الآية: 3.

(٤) سورة آل عمران، الآية: 186.

فإن قُلْتُ: لم سميت دعوى؟ قُلْتُ: لأن المولود كأنه يدعى الويل فيقول: تعالى يا ويل فهذا وقتك، وتلك مرفوع أو منصوب اسمًا أو خبرًا وكذلك دعواهم. الحصيد: الزرع المحصود أي: جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم وأصلطامهم كما تقول: جعلناهم رماذاً أي: مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له، فلما نخل عليها جعل نصبها جميعاً على المفعولية.

فإن قُلْتُ: كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل؟ قُلْتُ: حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد، لأن معنى قولك: جعلته حلواً حامضاً جعلته جامعاً للطعمين، وكذلك معنى: ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِينَ ﴿١١﴾

أي: وما سوينا هذا السقف المرفوع، وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلاق مشحونة بضروب البدائع والعجائب، كما تسوي الجبابة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب؛ وإنما سويتها للفوائد الدينية، والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار، واعتبار، واستدلال، ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد، والمراق التي لا تحصى.

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَكُمُ الْوَحْيَ لَمَعِينَ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾

ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتقائه عن أفعالي، هو أن الحكمة صارفة عنه، وإلا فانا قادر على اتخاذها إن كنت فاعلاً لأنني على كل شيء قدير. وقوله: ﴿لَاتَخَفْنَا مِنْ لَدُنَّا﴾ كقوله: ﴿رَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: من جهة قدرتنا، وقيل: اللهو: الولد بلغة اليمن، وقيل: المرأة، وقيل: من لدنا أي: من الملائكة لا من الإنس، رداً لولادة المسيح وعزير.

بَلْ تَقْدِرُ بِأَيْدِي عَلَى الْبَطْلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾

﴿بَل﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيهه منه لذاته، كأنه قال: ﴿١﴾ سبحانه أن نتخذ اللهو واللعب، بل من عادتنا

يشكوا فيها ركضوا من ديارهم.

والركض: ضرب الدابة بالرجل، ومنه قوله تعالى: ﴿اركض برجلك﴾ (١) فيجوز أن يركبوا نوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب؛ ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم.

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَسَكَرْتُمْ لَكُمْ تَتَلَوْنَ ﴿١٣﴾
قَالُوا يَوْمَئِذٍ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾

ف قيل لهم: ﴿لا تركضوا﴾ والقول محذوف.

فإن قُلْتُ: من القائل؟ قُلْتُ: يحتمل أن يكون بعض الملائكة، أو من ثم من المؤمنين، أو يجعلوا خلفاء بأن يقال لهم ذلك، وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفهم في دينهم، أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم ﴿وارجعوا إلى ما تترفتم فيه﴾ من العيش الرفاه، والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة، وهي الترفه ﴿لعلكم تستلثون﴾ تهكم بهم وتوبيخ أي: أرجعوا إلى نعيمكم ومساکنكم لعلكم تستلثون غداً عما جرى عليكم. ونزل بأموالكم ومساکنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو أرجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم، وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره، وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم: بم تأمرون وبماذا ترسمون؟ وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين؟ أو يسالكم الناس في أذنيهم المعاون في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بأرائكم، ويسالكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم، ويمترون أخلاف معروفكم وأبيادكم، إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رثاء الناس، وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم وتوبيخاً إلى توبيخ.

فَكَرَأَتْ تِلْكَ دَعْوَتَهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَبِيرِينَ ﴿١٥﴾

﴿تلك﴾ إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل: فما زالت تلك الدعوى ﴿دعواهم﴾، والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (٢).

نلك من لا نسميه من أهل الملة عفا الله عنه إن كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو، فالحق أن الله تعالى مستغن عن جميع الأفعال حسنة كانت أو غيرها، مصلحة كانت أو مفسدة، وأن له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرية حسناً، وله أن يفعل ما يتوهمونه في الشاهد قبيحاً، وأن كل موجود من فاعل وفعل على الإطلاق فيقدرته وجد، فليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله، وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبحه، فلو أن أولكم وأخركم، وإنسكم وجنكم على اتقى قلب رجل منكم، لم يزد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أولكم وأخركم، وإنسكم وجنكم على أفجر قلب رجل منكم، لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً. اللهم ألهمنا الحق واستعملنا به.

(1) سورة ص، الآية: 42.

(2) سورة يونس، الآية: 10.

(3) قال أحمد: وله تحت قوله: واستغفنا عن القبيح نفين من البدعة والضلالة، ولكنه من الكنوز التي يحصى عليها في نار جهنم، وذلك أن القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح، وفعل ما يتوهمونه حسناً بعقولهم، ويظنون أن الحكمة تقتضي ذلك، فلا يستغني الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف انقيح، فإن الحكمة تقتضي الاستغناء عنه، فإلى ذلك يلوح الزمخشري وما هي إلا نزغة سبق إليها ضلال الفلاسفة. ومن ثم يقولون: ليس في الإمكان أكمل من هذا العالم؛ لأنه لو كان في القدرة أكمل منه وأحسن، ثم لم يخلقه الله تعالى لكان بخلاً ينافي الجود، أو عجزاً ينافي القدرة حتى اتبعهم في

اتخاذهم ﴿آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ الموتى، ولعمري أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموت.

فإن قُلْتَ: كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم؟ وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى⁽³⁾؟ وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والأرض، ولئن سألتهم: من خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الله. وبانه القادر على المقدرات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين البعث. ويقولون: من يحيي العظام وهي رميم؟ وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر، كثنائي القديم فكيف يدعونه للجماهد الذي لا يوصف بالقدرة رأساً؛ قُلْتُ: الأمر كما نكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإِنشَار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور، والإِنشَار من جملة المقدرات، وفيه باب من التهكم بهم، والتوبيخ، والتجھيل، وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده، لأن الإلهية لما صحت صحَّ معها الاقتدار على الإيداء والإعادة، ونحو قوله: ﴿من الأرض﴾ قولك: فلان من مكة أو من المدينة، تريد مكي أو مدني، ومعنى نسبتها إلى الأرض: الإيدان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض، لأن الآلهة على ضربين: أرضية وسماوية، ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله ﷺ: «لئن ربك؟» فأشارت إلى السماء فقال: «إنها مؤمنة»⁽⁴⁾ لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام، لا إثبات السماء مكاناً لله عز وجل، ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض؛ لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة، أو تعمل من بعض جواهر الأرض.

فإن قُلْتَ: لا بد من نكته في قوله⁽⁵⁾: ﴿هم﴾! قُلْتُ: النكته فيه إفادة معنى الخصوصية، كأنه قيل: أم اتخذوا آلهة لا يقدر

وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق⁽¹⁾، واستعارة لنلك القذف والدمغ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه؛ فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه. ثم قال: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته، وقرئ: فدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله: سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحاً وقرئ: فدمغه.

وَلَمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ ﴿٢١﴾

﴿ومن عنده﴾ هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقرَّبين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه.

فإن قُلْتَ⁽²⁾: الاستحسار مبالغة في الحسور، فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أبني الحسور! قُلْتُ: في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور، وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون.

سَيَحِيْرُ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ لَا يَبْتَرُونَ ﴿٢٢﴾

أي: تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ، أو شغل آخر.

أَمْ أَخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرُونَ ﴿٢٣﴾

هذه ﴿أم﴾ المنقطعة الكائنة بمعنى: بل، والهمزة قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها، والمنكر هو

== بأنهم لم يدعوا لها الإِنشَار، وأن قوله: هم ينشرون استئناف إزام لهم، وكأنه قال اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم إنز حيون الموتى ضرورة كونهم آلهة، ثم لما انتظم من دعواهم الألوهية للأصنام وللزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على إحياء الموتى نظم في إبطال هذه الدعوى، وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا﴾. وأزيد هذا التقرير وضوحاً، فأقول: إنَّ دليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية المقتبس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم، فيقولون: لو وجد مع الله إله آخر، وربما قالوا: لو فرضنا وجود إلهين، فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على إحياء الموتى وإنشأهم وغير ذلك من الممكنات، أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر، ثم يحيلون جميع الأقسام وهو المسمى برهان الخلف، وأنق الأقسام إبطالاً قسم اتصافهما جميعاً بصفات الكمال، وما عداه فبيدائ الرأي يبطل، فانظر كيف اختار له تعالى إبطال هذا القسم الخفي البطلان، فأوضح فساده في أخصر أسلوب وأجزءه، وأبلغ بديع الكلام ومعجزه، وإنما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله: ﴿هم ينشرون﴾ إلزامهم أنعاء صفات الألوهية لآلهتهم حتى يتحرى أنهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى، ووكل إبطال ما

(1) قال احمد: وفي مثل هذا التنبية من حسناته، ولولا أن السيئة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، والله أعلم.

(2) قال احمد: ويمثله اجيب عن قوله تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ فانظره قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾.

(3) قال احمد: فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها، وهو أبلغ في الإنكار، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(4) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة (حديث رقم 33 - 537)، ورواه ابو داود في كتاب: الايمان والنور، باب: في الرقية المؤمنة (حديث رقم 3282).

(5) قال احمد: وفيه هذه النكته نظر؛ لأن آيات الحصر مفقودة، وليس ذلك من قبيل صديقي زيد، فإنَّ المبتدأ في الآية أخص شيء؛ لأنه ضمير، وايضاً فلا يبنين على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم، وتخصيص الإِنشَار بهم، ونفيه عن الله تعالى إذ هذا لا يناسب السياق، فإنه قال عقيباً: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا﴾ ومعناه: لو كان فيهما إله غير الله شريكاً له لفسدنا، وكان مقتضى ما قال الزمخشري أن يقال: لو لم يكن فيهما آلهة إلا الأصنام لفسدنا، وأما المتعلق على خلاف ذلك فلا وجه لما قال الزمخشري. وعندي: أنه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله: هم الإيدان =

على الإنشمار إلا هم وحدهم. وقرأ الحسن: ﴿يُنشرون﴾⁽¹⁾ وهما لغتان؛ أنشر الله الموتى ونشرهما.

لَوْ كَانَ نِيمًا ءِإِلَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتُمْ فَصَبَحَكُمْ أَنَّ رَبَّ أَلَمَّ بِكُمْ عَمَّا يَوْمُونَ ﴿١٢﴾.

وصفت آلهة بإلا كما توصف بغير لو قيل: آلهة غير الله. فإن قُلْتُ: ما منعك من الرفع على البديل؟ قُلْتُ: لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب، والبديل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب، كقوله تعالى: ﴿لا يلتفت منكم أحد إلا أمرتكم﴾⁽¹⁾ وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه، والمعنى: لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا، وفيه دلالة على أمرين: أحدهما: وجوب أن لا يكون مديبرهما إلا واحداً. والثاني: أن لا يكون نلك الواحد إلا إياه وحده، لقوله: ﴿إلا الله﴾.

فإن قُلْتُ: لم وجب الأمران؟ قُلْتُ: لعلمنا أن الرعية تقسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر واختلاف. وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشبق كان واث أعز علي من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول، وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فلمتكملمين فيها تجاول وطراء، ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر.

لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿١٣﴾.

إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم، وعماً يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيئاً وإجلالاً، مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك، ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسئل عن أفعاله مع ما علم، واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة، ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح⁽²⁾ ﴿وهم يسئلون﴾، أي: هم مملوكون مستعبدون خاطؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم: لم فعلتم في كل شيء فعلوه؟

أَرَأَيْتُمْ إِذْ أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِإِلَهُةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ يَوْمَ يُدْعَىٰ مَنْ قَبْلُ بَلْ أَكْفَرْتُمْ لَا يَعْلَمُونَ لَقَدْ فَهِمَ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٤﴾.

كَزَّرَ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِإِلَهُةً﴾ استفظاعاً لشانهم واستعظاماً لكفرهم أي: وصفتم الله تعالى بأن له شريكاً فهاتوا برهانكم على نلك، إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي، فإنكم لا تجدون كتاباً من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه، والإشراك به منهي عنه متوعد عليه. أي: ﴿هذا﴾ الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه، كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء فهو نكر أي: عظة للذين معي يعني: أمته ونكر للذين من قبلي يريد أمم الأنبياء عليهم السلام وقرئ: ﴿ونكر من معي ونكر من قبلي﴾ بالتثوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله: ﴿وأطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً﴾⁽³⁾ هو الأصل، والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله: ﴿غلبت الروم في أنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون﴾⁽⁴⁾ وقرئ: من معي ومن قبلي على من الإضافة في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب، والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند رتت وما أشبه نلك، فيدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ: نكر معي ونكر قبلي. كأنه قيل: بل عندهم ما هو أصلاً الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل، فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار. وقرئ: ﴿الحق﴾ بالرفع على تأكيد بين السبب والمسبب، والمعنى: أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل، ويجوز أن يكون المنصوب أيضاً على هذا المعنى كما تقول: هذا عبد الله الحق لا الباطل.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾.

﴿يوحى﴾ هو ﴿نوحى﴾ مشهورتان، وهذه الآية مقررة لما سبقها من أي التوحيد.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ بَلْ عِشَادٌ مُكْرَمَةٌ ﴿١٦﴾.

نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله. نزه ذاته عن نلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد، والعبودية تاقى الولادة إلا أنهم ﴿مكرمون﴾ مقربون عندي مفضلون على سائر العباد⁽⁵⁾ لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم،

== أحد شريك الله في ملكه يفعل ما يشاء من الأفعال التي تسميها قبائح، فتفتفيها عن قدرة الله تعالى وإرادته، وما الفرق بين من يشرك الله ملكاً من الملائكة، وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول: إنه يفعل ويخلق لنفسه شاء الله أو لم يشاء، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، والقدرية ارتضوا لأنفسهم شر شرك: لأن غيرهم اشرك بالملائكة، وهم اشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن، وجميع الحيوانات. تعوذ بملك الملك من مسالك الهلك.

(3) سورة البلاء، الآية: 14.

(4) سورة الروم، الآيتان: 2 - 3.

(5) قال أحمد: وهذا التفسير من جعل القرآن تبعاً للرأي، فإنه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده، وليس غرضنا إلا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتمله، وتناول منها ما ==

== عاده من الأقسام إلى ما ركب في عياده من العقول، وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلل واث الموفق، فتأمل هذا الفصل بعين الإنصاف تجده انفس الانصاف والله المستعان.

(1) سورة هود، الآية: 81.

(2) قال أحمد: سحقا لها من لفظه ما أسوأ أدبها مع الله تعالى أعني قوله: دواعي الحكمة، فإن الدواعي والصوارف إنما تستعمل في حق المحدثين، كقولك: هو مما توفر دواعي الناس إليه، أو صوارفهم عنه، وقوله: لا يجوز عليه فعل القبائح، قلت: وهذا من الطراز الأول، ولو أنه في الذيل

فقد نسيته وما بالعهد من قدم

وبعدما انقضى دليل التوحيد، وإبطال الشرك من سمعك أيها الزمخشري، وقلمك رطب بتقريره، فلم نكصب وانكست تقول: أن ==

أَوَّلَ بَرٍّ ذَلَّزِينَ كَرَّرُوا أَنْ السَّوَابِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّتُهَا
وَحَمَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

قرئ: ﴿الم ير﴾ بغير واو و﴿رتقاً﴾ بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض أي: كانتا مرتوقيتين.

فإن قُلْتُ: الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقيتين؛ لانه مصدر فما بال الرتق؟ قُلْتُ: هو على تقدير موصوف أي: كانتا شيئاً رتقاً، ومعنى ذلك: أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينهما ففتتها الله وفرج بينها. وقيل: ﴿ففتقناهما﴾ بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وإنما قيل: كانتا نون كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض ونحوه. قولهم: لقاخان سوداوان أي: جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر.

فإن قُلْتُ: متى راوهما رتقاً حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قُلْتُ: فيه وجهان. أحدهما: أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرثي المشاهد. والثاني: أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين نون التلاصق من مخصص، وهو القديم سبحانه و﴿وجعلنا﴾ لا يخلو أن تعدى إلى واحد أو اثنين، فإن تعدى إلى واحد فالمعنى: خلقنا من الماء كل حيوان، كقوله: ﴿وإن خلق كل دابة من ماء﴾⁽³⁾ وكانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾⁽⁴⁾ وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى: صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام «ما أنا من دد ولا الدد مني»⁽⁵⁾، وقرئ: حياً، وهو المفعول الثاني والظرف لغو. و﴿حَمَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يُبَيِّدَ بِهِمْ وَحَمَلْنَا فِيهَا وَجْجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁽⁶⁾.

أي: كراهة ﴿أن تبيد بهم﴾ وتضطرب أو لثلاث تبيد بهم⁽⁶⁾، فحذف لا واللام وإنما جاز حذف لا لعدم الالتباس،

فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علواً كبيراً، وقرئ: ﴿مكرمون﴾.

لَا يَسْقُوتُ بِالْأَثْوَابِ وَهُمْ بِأَثْوَابِهِمْ يَمْلُوكُ ﴿٣١﴾

ولا يسبقونه ﴿بالمعنى﴾ بالضم من سابقته، فسبقتة أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله: ﴿ولا يقولون شيئاً حتى يقوله﴾ فلا يسبق قولهم قوله! والمراد بقولهم: فانيب. اللام مناب الإضافة أي: لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول: سبقت بفرسي فرسه.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ إِلَّا لِمَا لَزِيَ أَرْضَهُ وَهُمْ مِنْ حَتَّىٰ. مُشْفِقُونَ ﴿٣٢﴾

وكما أن قولهم تابع لقوله: فعلمهم أيضاً كذلك مبني على أمره لا يعملون عملاً ما لم يؤمروا به، وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله، وهو مجازيهم عليه فلا حظتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم، ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفوهوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم أنهم مع هذا كله من خشية الله ﴿مشفقون﴾، أي: متوقعون من أمانة ضعيفة كائنون على حذر. ورقبة لا يأمنون مكر الله، وعن رسول الله ﷺ: أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطاً كالحلس من خشية الله⁽¹⁾.

﴿أَنْ يَكُلَ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِمْ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾.

وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليه وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية، فأجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعداب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾⁽²⁾ قصد بذلك تفضيح أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد.

أيضاً هو السبب في الإدعام، والإدعام سبب في إعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة السبب، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿إن تضل إحداهما فتتذكر إحداهما الأخرى﴾، كذلك ما نحن فيه يكون الأصل، وجعلنا في الأرض رواسي لأهل أن تثبتوا إذا ماتت بهم، فجعل العيد هو السبب كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً، وصار الكلام، وجعلنا في الأرض رواسي أن تميم فثبتتها، ثم حذف قوله فثبتتها لأمن الإلباس إيجازاً واختصاراً، وهذا التقرير أقرب إلى الواقع مما أول الرمزخري الآية عليه، فإن مقتضى تأويله أن لا تميم الأرض باهلهما؛ لأن الله كره ذلك، ومكروه الله تعالى محال أن يقع كما أن مراده واجب أن يقع، والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة ماتت لها الأرض، وكادت تقلب عاليها سافلها وأما على تقريرنا، فالمراد أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا ماتت وهذا لا يابى وقوع العيد، كما أن قوله أن تضل إحداهما فتتذكر إحداهما الأخرى لا يابى وقوع الضلال والنسيان من

لا تعظي؛ لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لا على بعضهم، فدعواه شاملة ولبليه مطلق، والله الموفق.

(1) كشف الأستار كتاب: الإيمان، باب: منه في الإسراء (حديث رقم 58)، ورواه البيهقي في الشعب، باب: في الإيمان بالملائكة، فصل: في معرفة الملائكة (حديث رقم: 155).

(2) سورة الأنعام، الآية: 88.

(3) سورة النور، الآية: 45.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 37.

(5) أخرجه في كشف الأستار كتاب: علامات النبوة، باب: عصمته (حديث رقم: 2402)، ورواه البخاري في الأب المفرد 256/2 باب: الغناء واللهو (حديث رقم 785).

(6) قال أحمد: وأولى من هذين الوجهين أن يكون من قولهم أعدت هذه الخشبة أن تميل الحائط فادعاه. قال سيبويه: ومعناه أن ادع الحائط إذا مال، وإنما قدم نكر الميل اهتماماً بشانه؛ ولأنه

كما تزداد لذلك في نحو قوله: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ وهذا مذهب الكوفيين.

الفج: الطريق الواسع.

فإن قُلْتُ: في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت علي السبل، ولم تؤخر كما في قوله تعالى: ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾⁽¹⁾ قُلْتُ: لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالاً كقوله:

لعزة موحشا ظلل قديم

فإن قُلْتُ: ما الفرق بينهما من جهة المعنى؟ قُلْتُ: أحدهما: الإعلام بأنه جعل فيها طرفاً واسعة. والثاني: بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة، فهو بيان لما أبهم ثمة محفوظاً حفظه بالإمسك بقدرته من أن يقع على الأرض ويتزلزل، أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة.

وَجَمَلْنَا السَّمَاءَ سَفْعًا مَحْمُوطًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٦﴾

﴿عن آياتها﴾ أي: عما وضع الله فيها من الأدلة والعبير بالشمس والقمر وسائر النيرات، ومساييرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة، والقدرة الباهرة، وأي جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها، والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم تدبرها ونصبها هذه النصبية، وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف علمه، وقرئ: عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس أي: هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية، كالاستضاءة بقمرها والاهتداء بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأطوارها. وهم عن كونها آية بينة على الخالق ﴿معرضون﴾.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ وَالْأَنْفَ وَالْأَلْفَافَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٧﴾

﴿كل﴾ التنوين فيه عوض من المضاف إليه أي: كلهم ﴿في فلک يسبحون﴾ والضمير للشمس والقمر، والمراد بهما: جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها، وهو السبب في جهما بالشمس والاقمار، وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد وإنما جعل الضمير وأو

العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة.

فإن قُلْتُ: الجملة ما محلها؟ قُلْتُ: فمحلها النصب على الحال من الشمس والقمر.

فإن قُلْتُ: كيف استبد بهما بون الليل والنهار بنصب الحال عنهما؟ قُلْتُ: كما نقول: رأيت زيداً وهذا متبرجة ونحو ذلك، إذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل؛ ومنه قوله تعالى في هذه السورة ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة﴾⁽²⁾ أو لا محل لها لاستئنافها.

فإن قُلْتُ: لكل واحد من القمرين فلک على حدة فكيف قيل: جميعهم يسبحون في فلک؟ قُلْتُ: هذا كقولهم: كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفاً، أي: كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسيتين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصاراً؛ لأن الغرض الدلالة على الجنس.

وَمَا جَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَبَدًا إِنَّ رَبَّكَ لَهُمْ الْغَلْدُونَ ﴿٣٨﴾

كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفي الله تعالى عنه الشماتة بهذا؛ أي: قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشراً، فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت، فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أبقى هؤلاء؟ وفي معناه قول القائل:

فقل للشامتين بنا أنيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
كل نفس ذائقة الموت وبئس الوكيل والفرقة وإليتنا ترجعون ﴿٣٨﴾

أي: نخبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم، وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر. وإنما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم، لأنه في صورة الاختبار و﴿فتنة﴾ مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظة النكر يكون بخير، وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل: سمعت فلاناً ينكر. فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء، وإن كان عدواً فذم⁽³⁾. ومنه قوله تعالى: ﴿سمعنا فتى ينكرهم﴾⁽⁴⁾.

وَأَذَا رَأَى الْآلِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِينَ يَدْعُونَكَ بِالْهَيْكَلِ وَهُمْ يَنْكُرُونَ ﴿٣٩﴾

وقوله: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ والمعنى: أنهم

إحداهما، لكنه ميد يستعقبه التثبیت، وكذلك الواقع من الزلازل إنما هو كاللحمية.

(1) سورة نوح، الآية: 20.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 72.

(3) قال أحمد: وكذلك القول، ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿انقولون للحق لما جاءكم﴾ معناه: اتعبيون الحق لما جاءكم، ثم ابتداء، فقال: أسحر هذا؟ وإنما لم يجعله معمولاً للقول ومحكياً به؛ لأنهم قفوا القول بأنه سحر، فقالوا: إن هذا لسحر مبين، ولم يشكوا أنفسهم، ولا استفهموا، وقد مضى فيه غير هذا، وإنما أطلقوا في

قولههم أهذا الذي يذكر آلهتكم؟ ولم يقولوا: هذا الذي يذكر آلهتكم بكل سواء؛ لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم رعباً بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، وحاشوها من نقل نهما مفصلاً، فأومأ إليه بالإشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر، فيؤمئ إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض، فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان، وأسأوا الأدب على الرحمن.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 60.

وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا تُمْ يُعْرَضُونَ ﴿٢٨﴾

ويجوز أن يكون ﴿يعلم﴾ متروكاً بلا تعدية بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين، وحين منصوب بمضمر أي: حين ﴿لا يكفون عن وجوههم للنار﴾ يعلمون أنهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم، أي: لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم.

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَظِيرُونَ رَدَّهَا وَلَا تُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾

يقال للمغلوب في المحاجة: مبهوت، ومنه: ﴿فبغت الذي كفر﴾ أي: غلب إبراهيم عليه السلام الكافر. وقرأ الأعمش: يأتيتهم فببغتهم على التنكير، والضمير للوعد أو للحين.

فإِن قُلْتُمْ: فالإمام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة! قُلْتُمْ: إلى النار أو إلى الوعد؛ لأنه في معنى النار وهي التي وعدوها، أو على تأويل العدة أو الموعدة أو إلى الحين؛ لأنه في معنى الساعة، أو إلى البغثة. وقيل: في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش: بغتة بفتح الغين ﴿ولا هم ينظرون﴾ تنكير بإنظاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التنكر عليهم؛ أي: لا يمهلون بعد طول الإمهال.

وَلَقَدْ آسَفْنَاهُ بِرِسُولٍ مِّن بَيْنِكَ فَمَا كَانَ يَدْرِي أَنَّهُ سَخِرُوا مِنْهُ مَا كَانُوا بِدَيْرِ اسْتِهْزَائِهِمْ ﴿٣٠﴾

سلى رسول الله ﷺ عن استهزائهم به، بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة، وأن ما يفعلونه به يحق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء عليهم السلام ما فعلوا.

قُلْ مَن يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرِّجْزِ بَلْ هُمْ عَنْ وَصْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣١﴾

﴿من الرحمن﴾ أي: من بأسه وعذابه ﴿بل هم﴾ معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه، حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسؤال عنه؛ والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم عن الكالي، ثم بيّن أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلوهم.

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْتَعُونَ مِنْ دُونِهَا لَا يَسْتَظِيرُونَ صَمْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ يَتَّخِذُونَ ﴿٣٢﴾

ثم أضرب عن ذلك بما في ﴿أم﴾ من معنى بل. وقال: ﴿أم لهم آلهة تمتعون﴾ من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا. ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها، ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد، كيف يمنع غيره وينصره. ثم قال: بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة

عاكفون على ذكر آلهتهم بهمهم وما يجب أن لا تنكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن ينكرها ذاكراً بخلاف ذلك؛ وأما نكر الله وما يجب أن ينكر به من الوجدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلاً فهم أحق بأن يتخذوا هزواً منك فإنك محق وهم مبطلون. وقيل: معنى ينكر الرحمن قولهم: ما نعرف الرحمن إلا مسليمة. وقولهم: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا! وقيل: ينكر الرحمن بما أنزل عليك من القرآن، والجملة في موضع الحال، أي: يتخذونك هزواً وهم على حال هي أصل الهزة والسخرية وهي الكفر بالله.

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٣﴾

كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار.

وَقَوْلُهُمْ مَّا هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم، فقدم أولاً ثم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها، ثم نهاهم وزجرهم؛ كأنه قال: ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فإنكم محبوبون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم. وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه أراد بالإنسان آدم عليه السلام، وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم. وروي: أنه لما نخل الروح في عينه نظر إلى ثمار الجنة، ولما دخل جوفه اشتهى الطعام. وقيل: خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس، فأسرع في خلقه قبل مغيبها. وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه النضر بن الحرث؛ والظاهر أن المراد الجنس. وقيل: العجل: الطين، بلغة حمير. وقال شاعرهم: والنخل ينبت بين الماء والعجل، والله أعلم بصحته.

فإِن قُلْتُمْ: لم نهاهم عن الاستعجال؟ مع قوله: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾^(١) وقوله: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾^(٢) أليس هذا من تكليف ما لا يطاق؟ قُلْتُمْ: هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ ﴿خلق الإنسان﴾^(٣) جواب لو محذوف، وحين مفعول به ليعلم أي: لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم: ﴿متى هذا الوعد﴾^(٤) وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدم فلا يقدر على دفعها ومنعها من أنفسهم، ولا يجدون ناصرًا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هوته عندهم.

لَوْ بَعَثَ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ أَنشَارَ

(3) سورة الأنبياء، الآية: 37.

(4) سورة يونس، الآية: 48.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 37.

(2) سورة الإسراء، الآية: 11.

إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا.

بَلْ مَعَنَا هُزُودٌ وَإِنَّا لَهُمْ حَتَّىٰ مَلَكَ عَلَيْهِمُ الْمُمْرُؤَاتُ أَفَلَا يَرْوُونَ
أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٨﴾.

وما كلاتناهم وآبائهم الماضين إلا تمتيعاً لهم بالحياة الدنيا وإمهالاً كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم ﴿حتى طال عليهم﴾ الأمد وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلّبون، ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمد كاذب ﴿أفلا يرون أننا﴾ ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام.

فإن قلنت: أي فائدة في قوله: ﴿نأتي الأرض﴾! قلنت: الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسرايهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها.

قُلْ إِنَّمَا أُذِرُّكُمْ بِالْحَرْبِ وَلَا يَسْعَ الْأَعْمَىٰ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٩﴾.

قري ﴿ولا يسمع الصم﴾: ولا تسمع الصم بالثناء والياء أي: لا تسمع أنت الصم ولا يسمع رسول الله ﷺ ولا يسمع الصم من أسمع.

فإن قلنت: الصم لا يسمعون دعاء المبشر، كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل: ﴿إذا ما ينذرون﴾؟ قلنت: اللام في الضم إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والأصل، ولا يسمعون إذ ما ينذرون، فوضع الظاهر موضع المضمّر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا أي: هم على هذه الصفة من الجراءة والجراسة على التصام من آيات الإنذار.

وَلَكِن مَّسْتَهْرَجَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَأْتِينَا إِنَّا كُنَّا
عَلِيِّينَ ﴿٥٠﴾.

﴿ولئن مستهجم﴾ من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لأذعنوا ونلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا، وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأنّ النفح في معنى القلة والنزارة، يقال: نفحته الدابة وهو رمح يسير، ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة.

وَصَبَّحَ الْمُرْثَدُونَ أَلْسِنَتَهُمْ لِيُؤْمِرَ أَقْبِيَمَتَهُمْ فَلَا يُنظَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ
كَانَتْ يُنْقَلَبُ حَبْرٌ مِّنْ حَرْدَلٍ أَيْنَمَا يَهَأُ وَكَفَىٰ بِرَبِّنَا حَسِيبِينَ ﴿٥١﴾.

وصفت ﴿الموازين﴾ بالقسط وهو: العدل مبالغة كانها في نفسها قسط، أو على حذف المضاف أي: نوات القسط واللام في ﴿ليوم للقيامة﴾ مثلها في قولك: جثته لخمس

ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة:

ترسمت آيات لها فعرفت لها لسنة أعمام وذا العام سابع
وقيل: لاهل يوم القيامة أي: لأجلهم.

فإن قلنت: ما المراد بوضع الموازين؟ قلنت: فيه قولان: أحدهما: إرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده متقال ذرة، فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات. والثاني: أنه يضع الموازين الحقيقية ويوزن بها الأعمال عن الحسن. هو ميزان له كفتان ولسان. ويروي: أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال: يا إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود إنني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة.

فإن قلنت: كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض! قلنت: فيه قولان: أحدهما: توزن صحائف الأعمال. والثاني: تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة؛ وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة. وقري ﴿ممنقال حبة﴾ على كان التامة كقوله تعالى: ﴿وإن كان ذو عسرة﴾^(١) وقرأ ابن عباس ومجاهد ﴿أتينا بها﴾، وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى: المجازاة والمكافأة؛ لأنهم أتوه بالأعمال وآتاهم بالجزاء. وقرأ حميد أثبتنا بها من الثواب. وفي حرف أبي جثنا بها وأنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم: ذهب بعض أصابعه.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَسِبْأَةَ وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٢﴾.

أي: آتيناهما ﴿الفرقان﴾ وهو التوراة ﴿و﴾ آتيناه به ﴿سبأ﴾ وذكراً للمتقين، والمعنى: أنه في نفسه ضياءً وذكراً، أو وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياءً وذكراً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الفرقان والفتح كقوله: ﴿يوم الفرقان﴾^(٢) وعن الضحاك: ﴿فلق البحر﴾ وعن محمد بن كعب: المخرج من الشبهات. وقرأ ابن عباس ضياءً بغير واو وهو حال عن الفرقان. والذكر: الموعظة، وذكرك ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، أو الشرف.

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنْ أَلْسِنَتِهِمْ مَّشْفُورُونَ ﴿٥٣﴾.

محل ﴿الذين﴾ جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه.

وَمِنَّا ذَكَرْنَا مَبَارَكًا أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا ﴿٥٤﴾.

﴿وهذا نكر مبارك﴾ هو القرآن وبركته كثرة منافع وغزارة خيره.

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٥﴾.

الرشد: الاهتمام لوجوه الصلاح. قال الله تعالى: ﴿فإن أنتم منهم رشداً فأنفَعوا إليهم أموالهم﴾^(٣) وقري: رشده

(3) سورة النساء، الآية: 6.

(1) سورة البقرة، الآية: 280.

(2) سورة الأنفال، الآية: 41.

عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لأنني لست مثلكم فأقول: ما لا أقدر على إثباته بالحجة كما لم تقدرُوا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيبوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم.

وَاللَّهُ لَكَيِّدٌ مُّسْتَكْبِرٌ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾.

قرأ معاذ بن جبل: بالله. وقرئ: ﴿تولوا﴾ بمعنى: تتولوا. ويقولها قوله: ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾⁽³⁾.

فَإِنْ قُلْتُمْ: ما الفرق بين الباء والتاء؟ **قُلْتُ:** إنَّ الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبجلة منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه. لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره، ولعمري أن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصاً في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرته بيته.

ولكن إذا الله سنى عقد شيء تيسرا

روي: أن أزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها، ووضعوا بينها طعاماً خرجوا به معهم وقالوا: إلى أن نرجع بركت الأكلة على طعامنا، فذهبوا وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنماً مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب في عينيه جوهرتان تضيئان للليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه. عن قتادة قال: ذلك سرّاً من قومه، وروي سمعه رجل واحد.

فَجَمَلَهُمْ جَدًّا إِلَّا كَبِيرًا لَّمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾.

﴿جداداً﴾ قطعاً عن الجذ وهو القطع، وقرئ: بالكسر والفتح، وقرئ: جدّاً جمع جديذ وجدّاً جمع جذة، وإنما استبقى الكبير؛ لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسمعه من إنكاره لدينهم وسبه لألهتهم، فبيكهم بما أجاب به من قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم﴾⁽⁴⁾، وعن الكلبي **﴿إليه﴾** إلى كبيرهم، ومعنى هذا: لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات، فيقولون له: ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحاً والفأس على عاتقك؟ قال: هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها، أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاءً بهم واستجهالاً، وأن قياس حال من يسجد له ويؤمله للعبادة أن يرجع إليه في حل كل مشكل.

فَإِنْ قُلْتُمْ: فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراف في أعرافهم، فاي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضاً؟ **قُلْتُ:** إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر، وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم.

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّمَا لَنَا الْكَلْبُوبُ ﴿٥٩﴾.

والرشد، والرشد كالعدم والعدم، ومعنى إضافته إليه: أنه رشد مثله، وأنه رشد له شأن **﴿من قبل﴾** أي: من قبل موسى وهرون عليهما السلام. ومعنى علمه به: أنه علم منه أحوالاً بديعةً وأسراراً عجيبيةً وصفات قد رضيها وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته، وهذا كقولك: في خير من الناس أنا عالم بفلان، فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل.

إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَوَيْبِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٦٠﴾.

﴿إن﴾ إما أن يتعلق بآتيننا أو برشده أو بمحنوف، أي: انكر من أوقات رشده هذا الوقت قوله: **﴿ما هذه التماثيل﴾**؟ تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها. لم ينو للعاكفين مفعولاً وأجراه مجرى ما لا يتعدى، كقولك: فاعلون العكوف لها، أو واقفون لها.

فَإِنْ قُلْتُمْ: هلا قيل: عليها عاكفون! كقوله تعالى: **﴿يعكفون على أصنام لهم﴾**⁽¹⁾ **قُلْتُ:** لو قصد التعبدية لعداه بصلته التي هي على ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن تلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرته مذهبهم، ومجانلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم.

قَالَ لَنْدَ كُنْتُ أَنْتُمْ وَوَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاطِمِينَ ﴿٦١﴾.

﴿انتم﴾ من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به؛ لأنَّ العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع، ونحوه **﴿أسكن أنت وزوجك الجنة﴾**⁽²⁾ أراد أن المقلدين والمقلدين جميعاً منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل، بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلال بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد، فقالوا له: هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل؟!.

قَالَ يَا زَكُّرَىٰ رَبِّي الْمَنَّانُ وَالْأَرْضُ الْآزَىٰ فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرِ رَبِّي السَّهِيرُ ﴿٦١﴾.

الضمير في **﴿فطوهم﴾** للسموات والأرض أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم، وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصح الدعوى بالشهادة كأنه قال: وأنا أبين ذلك وأبرهن

(3) سورة الصافات، الآية: 90.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 63.

(1) سورة الأعراف، الآية: 138.

(2) سورة البقرة، الآية: 35.

ويدعى إليها أن يقدر على هذا، وأشد منه. ويحكي: أنه قال: فعله كبيرهم هذا، غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها.

وقرأ محمد بن السميع: فعله كبيرهم. يعني: فعله أي: فعل الفاعل كبيرهم.

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾

فلما القمهم الحجر وأخذ بمخانتهم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿انتم الظالمون﴾ على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلمت من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين.

ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَبْتَغُونَ ﴿١٥﴾ كَالَّذِينَ اتَّعَبْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٦﴾

نكسته: قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس: انقلب أي: استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة، وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم، أو انتكسوا عن كونهم مجالين لإبراهيم عليه السلام مجالين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق، أو قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطرائهم خجلاً وانكساراً وانخزالاً مما بهتهم به إبراهيم عليه السلام، فما أحراروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم وقرى: نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله، أي: نكسوا أنفسهم على رؤوسهم، قرأ به رضوان بن عبد المعبود.

أَبَى لَكَرٍ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

﴿أف﴾ صوت إذا صوت به عليم أن صاحبه متضجر، أضره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عنهم، وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم، واللام لبيان المتأفف به أي: لكم ولآلهتكم هذا التأفف.

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٨﴾ قُلْنَا بَنَاهُ كَرْنِي بَرَدًا وَسَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٠﴾

أجمعوا رأيهم لما غلبوا بإهلاكه، وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافترض لم يكن أحد أبغض إليه من المحق، ولم يبق له مفرغ إلا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله ﷺ حين عجزوا عن المعارضة، والذي أشار بإحراقه نمرود. وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد الأكراد، وروي أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه، ثم بنوا بيتاً كالحظيرة بكوثا، وجمعوا شهراً أصناف الخشب الصلاب حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: إن عافاني الله لأجمعن حبطاً لإبراهيم عليه السلام ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها، ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً﴾، ويحكي ما أحرقت منه إلا وثاقه وقال له جبريل

أي: أن من فعل هذا الكسر والحطم ولشديد الظلم معبود في الظلمة، إمّا لجراته على الآلهة الحقيقية عندهم بالتوقير والإعظام، وإمّا لأنهم رأوا إفراطاً في حطمها وتمانياً في الاستهانة بها.

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ﴿٢١﴾

فإن قلت: ما حكم الفاعلين بعد ﴿سمعنا فتى﴾، وأي: فرق بينهما؟ قلت: هما صفتان لفتى، إلا أن الأول وهو ﴿يذكُرُهُمْ﴾ لا بد منه لسمع، لأنك لا تقول: سمعت زيداً وتسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع، وإمّا الثاني: فليس كذلك.

فإن قلت: ﴿إبراهيم﴾ ما هو؟ قلت: قيل: هو خير مبتدا محذوف أو منادى، والصحيح أنه فاعل ﴿يقال﴾ لأن المراد: الاسم لا المسمى.

قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَمَلَهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَطَنَ هَذَا يَكْفُرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿على أعين الناس﴾ في محل الحال بمعنى معانيها مشاهدًا، أي: يمرأى منهم ومنظر.

فإن قلت: فما معنى الاستعلاء في علي؟ قلت: هو وارد على طريق المثل أي: يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن فيها ثبات الركاب على المركوب وتمكنه منه. ﴿لعلهم يشهدون﴾ عليه بما سمع منه وبما فعله، أو يحضرون عقوبتنا له.

روي: أن الخبير بلغ نمرود وأشراف قومه فأمروا بإحضاره.

قَالَ بَلْ نَعَمَكُمُ كَفِيرٌ هَذَا فَتَنُوكُمُ إِنْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٤﴾

هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا إذهان الرضاة من علماء المعاني، والقول فيه: إن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلا أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق، وأنت شهير بحسن الخط: أنت كتبت هذا؟ وصاحبك أمي لا يحسن الخط، ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة، فقلت له: بل كتبتك أنت، كأن قصد بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك، وإثباته للأمي أو المخرمش؛ لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به، وإثباته للقادر ولقائل أن يقول: غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة، وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه؛ لأنه هو الذي تسبب لاستهانتها بها وحطمه لها، والفعل كما يسند إلي مباشرة يسند إلى الحامل عليه، ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم، كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِسْمَاعِيلَ وَالزُّكْرَىٰ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾

﴿يهودون بامرنا﴾ فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله، فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتناقل عنها، وأول ذلك أن يهتدي بنفسه لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل ﴿فعل الخيرات﴾ أصله أن تفعل الخيرات، ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات، وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وَلَوْ مَا آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَيَّنَّا لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْكِبْرِيَّتَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا ﴿٧٤﴾

﴿حكماً﴾ حكمة وهو ما يجب فعله، أو فصلاً بين الخصوم وقيل: هو النبوة، والقرية: سنوم.

وَأَدْعَلَّهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٥﴾

أي: في أهل رحمتنا أو في الجنة ومنه الحديث: «هذه رحمتي أرحم بها من أشياء».

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلِهِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَآرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

﴿من قبل﴾ من قبل هؤلاء المنكورين.

هو نصر الذي مطاوعه انتصر، وسمعت هليلينا يدعو على سارق: اللهم انصرهم منه أي: اجعلهم منتصرين منه، والكرب: الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه.

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمٌ الْقَوِيمِ وَكُنَّا لِأَكْبَرِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾

أي: وانكرهما ﴿إذ﴾ بدل منهما، والنفش: الانتشار بالليل. وجمع الضمير: لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما وقرئ: لحكهما.

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾

والضمير في ﴿ففهمناها﴾ للحكومة أو الفتوى وقرئ: فافهمناها، حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة: غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكم فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيبته يوم أفسد ثم يترادآن، فقال: القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك.

فإن قلت: لحكما بوحى أم باجتهاد؟ قلت: حكما جميعاً بالوحي إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما

عليه السلام حين رمي به: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. قال: فسل ربك؟ قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي؛ وعن ابن عباس رضي الله عنه: إنما نجا بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل. وأطل عليه نمرود من الصرح فإذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال: إني مقرب إلى إلهك فنبج أربعة آلاف بقرة؛ وكف عن إبراهيم وكان إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه إذ ذاك ابن ست عشرة سنة، واختاروا المعاقبة بالنار؛ لأنها أهول ما يعاقب به واقطعه، ولذلك جاء: «لا يعذب بالنار إلا خالقها»⁽¹⁾ ومن ثم قالوا: ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي: إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرًا مؤزرًا فاختاروا له أهول المعاقبات، وهي الإحراق بالنار والإفراط في نصرتها، ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم شأنها، ولم يالوا جهداً في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وإرادته كما مأمور أمر بشيء فامتثلته، والمعنى: ذات برد وسلام فبولج في ذلك كأن ذاتها برد وسلام، والمراد ابرؤي فيسلم منك إبراهيم أو ابرؤي برداً غير ضار، وعن ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها.

فإن قلت: كيف بردت النار وهي نار؟ قلت: نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت، والله على كل شيء قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك، كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله: ﴿على إبراهيم﴾ وأرادوا أن يكيده ويمكروا به فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين؛ غلبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا إلى القوة والجبروت فنصره وقواه.

وَبَيَّنَّا لَؤُلُؤًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

نجيا من العراق إلى الشام وبركاته الواصلة إلى العالمين إن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا فيه، فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل: بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير، وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له: إلى أين؟ فقال: إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل: «ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس»⁽²⁾. وروي: أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفة وبينهما مسيرة يوم وليلة.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٨١﴾

النافلة: ولد الولد وقيل: سال إسحق فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أي: زيادة وفضلاً من غير سؤال.

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ

(2) لم يورد الزبلي هذا.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: لا يُعذب بعذاب الله (حديث رقم 3016)، ورواه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في كراهية حرق العدو بالنار (حديث رقم 2673).

والبلاء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل،
والتاء للصنعة أو لللبوس على تاويل الدرع والبلاء لداود أو
لللبوس.

وَلَيْسَ لِمَنْ أَرْبَحَ عَاصِفَةً تَجْرَى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ تَوْبَةٍ عَوَّلِينَ ﴿٨١﴾

قرئ: الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على
الابتداء، والنصب على العطف على الجبال.

فإن قُلْتُ: وصفت هذه الرياح بالعصف تارة، وبالرخاوة
أخرى فما التوفيق بينهما؛ قُلْتُ: كانت في نفسها رخبة
طيبة كالنسيم⁽¹⁾، فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة
يسيرة على ما قال: ﴿غوبها شهر ورواحها شهر﴾⁽²⁾ فكان
جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في
عملها مع طاعتها لسليمان، وهبوبها على حسب ما يريد
ويحتكم أية إلى أية ومعجزة إلى معجزة، وقيل: كانت في
وقت رخاء وفي وقت عاصفاً لهبوبها على حكم إرادته، وقد
أحاط علمنا بكل شيء فنجري الأشياء كلها على ما
يقتضيه علمنا وحكمتنا.

وَرَبِّكَ الشَّيْطَانِ مَنْ يُؤْمِرُكُمْ لَمْ يُؤْمِرْكُمْ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ
وَكُنَّا لَهُمْ حَفِيظِينَ ﴿٨٢﴾

أي: يفوضون له في البحار فيستخرجون الجواهر،
ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المداين والقصور
واختراع الصنائع العجيبة كما قال: يعملون له ما يشاء من
محاريب وتمائيل والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره، أو
يبدلوا، أو يغيروا، أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم
مسخرون فيه.

﴿وَأَرْوَبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَيْسَ لِي بِعَصَا وَأَنَا رَسُولٌ مُبْتَلًى
﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ فَكُفْنَا مَا بَدَّ مِنْ سُورٍ وَأَوَّيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلُكُمْ
مَمْلُوءٌ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾

أي: ناداه بأني مسني الضر، وقرئ: إني بالكسر على
إضمار القول، أو لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضر
في كل شيء، وبالضم الضر في النفس من مرض، وهزال
فرق بين البناءين، لافتراق المعنيين اللطف في السؤال حيث
نكر نفسه بما يوجب الرحمة، ونكر ربه بغاية الرحمة ولم
يصرح بالمطلوب، ويحكي: أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن
عبد الملك فقالت: يا أمير المؤمنين مشيت جردان بيتي على
العصى، فقال لها: اللطف في السؤال لا جرم لأرديها تثب
وثب الفهود، وملا بيتها حباً.

كان أيوب عليه السلام رومياً من ولد إسحق بن يعقوب
عليهم السلام وقد استناباه الله، وبسط عليه الدنيا وكثر أهله

السلام وقيل: اجتهدا جميعاً فجاء اجتهد سليمان عليه
السلام أشبه بالصواب.

فإن قُلْتُ: ما وجه كل واحدة من الحكومتين؛ قُلْتُ: أما
وجه حكومة داود عليه السلام فلأن الضرر لما وقع بالغنم
سلمت بجنابيتها إلى المجني عليه كما قال أبو حنيفة
رضي الله عنه في العبد إذا جنى على النفس: يدفعه المولى
بنلك، أو يفديه، وعند الشافعي رضي الله عنه يبيعه في
ذلك أو يفديه. ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في
الحرث ووجه حكومة سليمان عليه السلام: أنه جعل
الانتفاع بالغنم بإزاء مافات من الانتفاع بالحرث من غير أن
يزول ملك المالك عن الغنم، وأوجب على صاحب الغنم أن
يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال
أصحاب الشافعي فيمن غصب عبداً، فابق من يده: أنه
يضمن القيمة، فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته
الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر ترادا.

فإن قُلْتُ: فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما
حكمها؛ قُلْتُ: أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون
فيه ضماناً بالليل، أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق،
أو قائد والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل
وفي قوله: ﴿ففهمناها سليمان﴾ دليل على أن الأصوب كان
مع سليمان عليه السلام، وفي قوله: ﴿وكلأ آتينا حكماً
وعلماً﴾ دليل على أنهما جميعاً كانا على الصواب
﴿يسبحن﴾ حال بمعنى: مسبحات أو استثناف كأن قائلها
قال كيف سخرن فقال: يسبحن ﴿والطير﴾ إما معطوف
على الجبال، أو مفعول معه.

فإن قُلْتُ: لم قدمت الجبال على الطير؛ قُلْتُ: لأن
تسخيرها وتسييحها أعجب وإدل على القدرة وأنخل في
الإعجاز، لأنها جماد والطير حيوان إلا أنه غير ناطق روي:
أنه كان يمر بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه، وقيل: كانت
تسير معه حيث سار.

فإن قُلْتُ: كيف تنطق الجبال وتسبح؛ قُلْتُ: بأن يخلق الله
فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى، وجواب
آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله، فلما حملت
على التسبيح وصفت به ﴿وكننا فاعلين﴾ أي: قادرين على
أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم وقيل: وكننا نفعل
بالأنبياء مثل ذلك.

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ
شَاكِرُونَ ﴿٨٥﴾

اللبوس: اللباس، قال: البس لكل حالة لبوسها: المراد:
الدرع. قال قتادة: كانت صفائح فأول من
داود فجتمعت الخفة والتحصين، ﴿لتحصنكم﴾
خون

(1) قال أحمد: وهذا كما ورد وصف عصا موسى تارة بانها جان،
وتارة بانها ثعبان، والجان الرقيق من الحيات، والثعبان العظيم
الجانى منها، ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين، فكانت في خفتها
وفي سرعة حركتها كالجان، وكانت في عظم خلقها كالثعبان ففي =

= كل واحد من الريح والرياح والعصا على هذا التقرير معجزتان، والله
سبحانه وتعالى أعلم.

(2) سورة سبأ، الآية: 12.

يفسر بالقدرة على معنى: أن لن نعمل فيها قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى، فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله، ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان، ثم يردعه ويرده بالبرهان، كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان، وما يوسوس إليه في كل وقت، ومنه قوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾⁽¹⁾ والخطاب للمؤمنين ﴿في الظلمات﴾ أي: في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله: ﴿ذهب الله بنورهم وتركههم في ظلمات﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾⁽³⁾ وقيل: ظلمات بطن الحوت وقيل: ظلمات بطن الحوت وبطن الحوتين حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر. ﴿أن﴾ أي: بأنه ﴿إلا إله إلا أنت﴾ أن بمعنى: أي، عن النبي ﷺ: «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له»⁽⁴⁾، وعن الحسن: ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم.

فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

﴿ننجي﴾ وننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم، ومن تحمل لصحته فجعله فعل وقال: نجي النجاء المؤمنين فأرسل الباء وأسنده إلى مصدره، ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف.

وَرَكِبْنَا إِذِ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

سال ربه أن يرزقه ولدًا يرثه ولا يدعه وحيدًا بلا وارث، ثم رد أمره إلى الله مستسلمًا فقال: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ أي: إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث.

فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَمْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ فِي الْأَعْرَابِ وَيَدْعُونَكَ رَبِّيًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خُشُوعًا ﴿٩٠﴾

إصلاح زوجه: أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل: تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق. الضمير للمتكورين من الأنبياء عليهم السلام، يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبارتهم أبواب الخير، ومساعدتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور الجائون، وقرئ ﴿رغبًا ورهبًا﴾ بالإسكان وهو كقوله تعالى: ﴿يحنر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ ﴿خاشعين﴾ قال الحسن: نللا لأمر الله، وعن مجاهد: الخشوع الخوف الدائم في القلب، وقيل: متواضعين، وسئل الأعمش، فقال:

وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات، وله أصناف البهائم وخمسائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله بذهاب ولده أنهدم عليه البيت فهلكوا، وبذهاب ماله وبالمرض في بنيه ثمانين عشر سنة، وعن قتادة: ثلاث عشر سنة، وعن مقاتل: سبعًا وسبعة أشهر وسبع ساعات، وقالت له امرأته يومًا: لو دعوت الله فقال لها: كم كانت مدة الرخاء فقالت: ثمانين سنة فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي، فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم، وروي: أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنًا ﴿ورحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ أي: لرحمتنا العابدين، وأن ننكرهم بالإحسان لا ننساهم، أو رحمة منا لأبواب وتنكرة لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أتيب في الدنيا والآخرة

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الْقَادِرِينَ ﴿٩١﴾
وَأَعْنَتْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٩٢﴾

قيل: في ذي الكفل هو إلياس وقيل: زكريا وقيل: يوشع بن نون، وكانه سمي بذلك؛ لأنه ذو الحظ من الله والمجذوب على الحقيقة، وقيل: كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل: خمسة من الأنبياء نورو اسمين: إسرائيل ويعقوب، إلياس ونو الكفل، عيسى والمسيح، يونس وذو النون، محمد وأحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وَذَا لُؤْلُونَ إِذْ ذَهَبَ مُغْرِبًا فَلَمْ يَأْنِ أَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ فَكَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٩٣﴾

﴿النون﴾ الحوت فاضيف إليه برم بقومه لطول ما نكرهم، فلم ينكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبًا لله، وأنفة لدينه، وبغضًا للكفر، وأهله، وكان عليه أن يصابر وينتظر الإن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت. ومعنى مغاصبته لقومه: أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها، وقرأ أبو شرف مغضبًا.

قرئ: نقدر ونقدر مخفقا ومثقالا، ويقدر بالياء بالتخفيف، ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخفقا ومثقالا، وفسرت بالتضييق عليه، وبتقدير الله عليه عقوبة، وعن ابن عباس: أنه دخل على معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصًا إلا بك قال: وما هي يا معاوية فقرا هذه الآية، وقال: ﴿أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه﴾ قال: هذا من القدر لا من القدرة. والمخفف يصح أن

(4) أخرجه الحاكم في المستدرک 1/505 و2/382، وأخرجه البيهقي

في الشعب، باب: في محبة الله عز وجل، فصل في آدامة نكر الله عز وجل (حديث رقم 620).

(1) سورة الأحزاب، الآية: 10.

(2) سورة البقرة، الآية: 17.

(3) سورة البقرة، الآية: 257.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْرَ آهْلِ الْإِنْتَابِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ
وَأَنَا لَكُمْ كَاتِبُونَ ﴿٤٦﴾.

الكفران: مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل: الله شكور، وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول: فلا نكفر سعيه ﴿وإنا له كاتبون﴾ أي: نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله، وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه.

وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٤٧﴾.

استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١) أي: منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم، وقرئ حَرَمَ وَحَرَمَ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَحَرَمَ وَحَرَمَ ومعنى ﴿أهْلَكْنَاهَا﴾: عزمنا على إهلاكها أو قدرنا إهلاكها، ومعنى الرجوع: الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة، ومجاز الآية: أن قومًا عزم الله على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينبئوا إلى أن تقوم القيامة، فحينئذ يرجعون ويقولون: يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا، بل كنا ظالمين يعني: أنهم مطبوع على قلوبهم، فلا يزالون على كفرهم، ويموتون عليه حتى يروا العذاب، وقرئ إنهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله، فلا بد من تقدير محذوف، كأنه قيل: وحرام على قرية أهْلَكْنَاهَا ذاك وهو المنكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور، ثم علل فقيل: إنهم لا يرجعون عن الكفر، فكيف لا يمتنع ذلك؟ والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أي: لأنهم لا يرجعون، ولا صلة على الوجه الأول.

حَتَّىٰ إِذَا فُجِئَتْ يَجُوعٌ وَمَطْعٌ رَّجْمٌ وَبَيْنَ كَلِمٍ كَلِمٍ
بَسِطَتْ ﴿٤٧﴾ وَاقْتَرَبَ الرَّعْدُ الْقَوَّاقِبَ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصُرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُرْوَلُنَا أَدْبَارًا فِي عَقَابِهِمْ وَإِنَّ عَذَابَ لَّعْنَةِ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿٤٨﴾.

فإن قُلْتُمْ: بم تعلق ﴿حتى﴾ واقعة غاية له وإية الثلاث هي: قُلْتُمْ: هي متعلقة بحرام وهي غالبة لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة، وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام، والكلام المحكي الجملة من الشرط، والجزاء أعني: إذا، وما في خبرها حذف المضاف إلى ﴿يأجوج وماجوج﴾، وهو سدّهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقيل: فتحت كما قيل: أهْلَكْنَاهَا وقرئ: أجوج وهما قبيلتان من جنس الإنس يقال: الناس عشرة

أما إني سألت إبراهيم، فقال: ألا تدري؟ قلت: أفندي، قال: بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابه، فلير الله منه خيرًا لعلك ترى أنه إن ياكل خشنًا ويلبس خشنًا ويطاطئ رأسه.

وَأَلَّتْ أَمْصَنَّتْ رُوحَهَا فَفَنَحْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
رَأْسَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٩﴾.

﴿أحصنت فرجها﴾ إحصانًا كليًا من الحلال والحرام جميعًا كما قالت: ﴿ولم يمسنني بشر ولم اك بغيًا﴾.

فإن قُلْتُمْ: نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه، قال الله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾^(١) أي: إحييته وإذا ثبت ذلك كان قوله: ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ ظاهر الإشكال؛ لأنه يدل على إحياء مريم؛ قُلْتُمْ: معناها: نفخنا الروح في عيسى فيها، أي: إحيائه في جوفها^(٢) ونحو ذلك أن يقول: الزمار نفخت في بيت فلان أي: نفخت في المزمار في بيته، ويجوز أن يراد: وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا، وهو جبريل عليه السلام؛ لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها.

فإن قُلْتُمْ: هلا قيل: آيتين كما قال: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾؛ قُلْتُمْ: لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة، وهي ولادتها إياه من غير فعل.

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً رَجِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٠﴾.

الأمّة: الملة، وهذه إشارة إلى ملة الإسلام أي: أن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة ﴿وإنما﴾ إلهكم إله واحد، ﴿فأعبدون﴾ ونصب الحسن أمتكم على البديل من هذه ورفع أمة خيرًا، وعنه رفعهما جميعًا خيرين لهذه، أو نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة.

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَلٌّ لِلنَّاسِ كُفْرًا ﴿٥١﴾.

والاصل وتقطعتم إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه يعني عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعًا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه، فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلًا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقًا وأحزابًا شتى، ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم.

(1) سورة الحجر، الآية: 29.

(2) قال أحمد: وقد اختار الزمخشري في قوله عز وجل: ﴿إنا أوحينا إلى أمك أن اتذنيه في التابوت فاتذنيه في اليوم فليلقه اليوم بالساحل﴾ أن تكون الضمائر كلها راجعة إلى موسى، أما الأول فلا إشكال فيه، وأما التابوت إذا قذف في اليوم وموسى فيه، فقد قذف موسى في اليوم، وكذلك الثالث واختار غيره عود الضميرين الأخيرين إلى التابوت؛ لأنه فهم من قوله: ﴿فاتذنيه في اليوم﴾ أن =

= المراد: التابوت، وأما موسى فلم يقذف في اليوم، الزمخشري نزل قذف التابوت في اليوم، وموسى فيه منزلة قذفه في اليوم، وفي هذه الآية مصداق لما اختاره، فإن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم، فعبر بما يفهم ظاهر هذا.

(3) سورة الاعراف، الآية: 50.

الأحسن إِمَّا السعادة، وإما البشري بالثواب وإما التوفيق للطاعة.

لَا يَسْمُرُونَ حَبِيبَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَلِيدُونَ ﴿١٧٦﴾

يروى: أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه قرأ هذه الآية، ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف، ثم أقيمت الصلاة فقام يجزّ رداءه وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَبِيبَهَا﴾ والحسيس: الصوت يحس، والشهوة طلب النفس للذة.

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَفَنَهُمُ اللَّاتِيكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٧٧﴾

وقرئ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ﴾ من أحزن و﴿الفرع الأكبر﴾ قيل: النفخة الأخيرة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾⁽²⁾ وعن الحسن الانصراف إلى النار، وعن الضحاك حين يطبق على النار، وقيل: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح أي: تستقبلهم ﴿الملائكة﴾ مهنئين على أبواب الجنة ويقولون: هذا وقت ثوابكم الذي وعدهم ربكم.

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَلْفِ السِّجْلِ لَكُمْ بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُبْدُونَ رَعْدًا عَظِيمًا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧٨﴾

قد حلّ العامل في ﴿يوم نطوي﴾، لا يحزنهم أو الفرع أو تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء المفعول، ﴿والسجل﴾ توزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة، أي: كما يطوى الطومار للكتابة أي: ليكتب فيه أو لما يكتب فيه؛ لأنّ الكتاب أصله المصدر كالبناء، ثم يقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة، وقيل: السجل ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه، وقيل: كاتب كان لرسول الله ﷺ والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها ﴿أول خلق﴾ مفعول، نعيد الذي يفسره ﴿نعبيده﴾ والكاف مكفوفة بما والمعنى: نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لها على السواء.

فإن قُلْتُ: وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه! قُلْتُ: أوله إيجاده عن العدم فكما أوجده أولاً عن عدم يعيده ثانياً عن عدم.

فإن قُلْتُ: ما بال خلق منكراً! قُلْتُ: هو كقولك: هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال، ولكنك وحته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكنلك معنى أول خلق: أول الخلق بمعنى: أول الخلائق؛ لأنّ الخلق مصدر لا يجمع، ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمّر يفسره نعيده، وما موصولة أي: نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق

أجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج ﴿وهم﴾ راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر، وقيل: هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السدّ الحطب: التشر من الأرض، وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية، والفاء تيمية، وقرئ ﴿ينسلون﴾ بضم السين، ونسل وعسل أسرع.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُّوكُمْ ﴿١٧٩﴾ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ آيَةً لَآلِهَةٍ مَا وَرَدُّوهُمَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨٠﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمُرُونَ ﴿١٨١﴾

﴿ما تعبدون من دون الله﴾ يحتمل الأصنام، وإبليس وأعدائه، لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبادتهم. ويصدق ما روي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحرث، فكلّمه رسول الله ﷺ حتى أقحمه ثم تلا عليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية فاقبل عبد الله بن الزبير فرأهم يتهايمسون، فقال: فيم خوضكم؟ فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله ﷺ، فقال عبد الله: أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه، فقال ابن الزبير: آثنت قلت ذلك؟ قال: نعم، قال: قد خصمك رب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيزاً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح عبدوا الملائكة، فقال ﷺ: «بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ مِنَ الْحَسَنَى﴾ الآية⁽¹⁾ يعني: عزيزاً والمسيح والملائكة عليهم السلام.

فإن قُلْتُ: لم قرنوا باللهتهم! قُلْتُ: لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غمّ وحسرة، حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر إلى وجه العدو باب من العذاب، ولأنهم قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستشفعون بشفاعتهم، فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض إليهم منهم.

فإن قُلْتُ: إذا عنيت بما تعبدون الأصنام فما معنى: ﴿لهم فيها زفير﴾ قُلْتُ: إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم: زفير، وإن لم يكن الزفيرين إلا هم دون الأصنام للتقليد ولعدم الإلباس.

والحصب: المحسوب به أي: بحصب بهم في النار والحصب: الرمي، وقرئ بسكون الصاد وصفاً بالمصدر، وقرئ حطب وحضب بالضاد متحرّكاً وساكناً.

وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون، ويجوز أن يصمهم الله كما يعيهم.

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنَّا مُبْعَدُونَ ﴿١٨٢﴾

﴿الحسنى﴾ الخصلة المفضلة في الحسن تانيث

ويجوز أن يكون المعنى: أن الذي يوحى إلي فتكون ما موصولة.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ مَا دُنُّكُمْ عَنْ سَوَالِهِ وَإِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ
مَا تُؤَدُّونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّهُ بِمَا أَلْجَهَرْتُمْ مِنَ الْقَوْلِ وَبِعَلْمِكُمْ مَا
نَعَسْتُمْ ﴿١٧٧﴾.

أذن منقول من أذن إذا علم، ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الإنذار ومنه قوله تعالى: ﴿فانذروا بحرب من الله ورسوله﴾⁽²⁾ وقول ابن حلزة: أذنتنا ببيئها أسماء

والمعنى: اني بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله، وتنزيهه عن الأنداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هنة فأحس منهم بغدرة فنبذ إليهم العهد، وشهر النبذ وأشاعه وأذنتهم جميعاً بذلك ﴿على سواء﴾ أي: مستويين في الإعلام به لم يطوه عن أحد منهم، وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائه ﴿وما توعدون﴾، من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة، ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وإن كنت لا أدري متى يكون ذلك لأن الله لم يعلمني علمه، ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الإسلام، ﴿وما تكتمون﴾، في صدوركم من الإحن والأحقاد للمسلمين، وهو يجازيكم عليه.

وَإِنْ أَدْرَيْتُمْ لَعَلَّكُمْ فَتَنَةُ لَكُمْ وَمَنْعُ الْإِنْجِينِ ﴿١٧٨﴾.

وما أدري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون، أو تمتيع لكم ﴿إلى حين﴾ ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة.

قُلْ رَبِّ أَسْكُرْ بِالَّذِي وَعَدَنَا رَبِّيَ الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَاذُ عَلَى مَا صَفَّوْنَا ﴿١٧٩﴾.

قريء ﴿قل﴾ وقال: على حكاية قول: رسول الله ﷺ ﴿رب احكم﴾ على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم، وربى أحكم على أفعل التفضيل، وربى أحكم من الأحكام أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا بيدر، ومعنى ﴿بالحق﴾: لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال: «اشدد وطأتك على مضر»⁽³⁾، قريء ﴿تصفون﴾ بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه، وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله ﷺ والمؤمنين وخذلهم، عن رسول الله وآله ﷺ: «من قرأ: اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن»⁽⁴⁾.

ظرف لبداناه أي: أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى ﴿وعذا﴾ مصدر مؤكد لأن قوله: ﴿نعيدوه﴾ عدة للإعادة ﴿إنما كنا فاعلين﴾ أي: قاردين على أن نفعل ذلك عن الشعبي رحمة الله عليه. وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٨٠﴾.

زبور داود عليه السلام، والذكر: التوراة وقيل: اسم جنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعني: اللوح أي: يرثها المؤمنون بعد إجماع الكفار كقوله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾⁽¹⁾ قال موسى لقومه: استعينوا بالله، وأصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي أرض الجنة وقيل: الأرض المقدسة ترثها أمة محمد ﷺ الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار، والوعد والوعيد والمواظ.

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٨١﴾.

البالغة والبلاغ الكفاية، وما تبلغ به البغية أرسل ﷺ.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْمَلِئِينَ ﴿١٨٢﴾.

﴿رحمة للعالمين﴾ لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها، ومثاله أن يفجر الله عيناً غديقة فيسقي ناس زروعهم، ومواشيهم بمانها فيفلحوا ويبقى ناس مفروطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرماها ما يتفعاها وقيل: كونه رحمة للفجار من حيث إن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال.

قُلْ إِنَّمَا يُرِثُ بِرِحْمَةِ إِلَهِكُمْ إِلَهُكُمْ وَإِنَّكُمْ لَفِي أَسْوَءِ
سُلُوكٍ ﴿١٨٣﴾.

إنما لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم كقولك: إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن ﴿إنما يوحى إلي﴾ مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد ﴿إنما إلهكم إله واحد﴾ بمنزلة إنما زيد، قائم، وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله ﷺ مقصور على استئثار الله بالوحدانية، وفي قوله: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أن الوحي الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله، وأن تخلصوا الأنداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع،

= الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة حيث رقم (294 675).

(4) رواه الثعلبي في تفسيره، ورواه الزليعي 2/372.

(1) سورة الاعراف، الآية: 137.

(2) سورة البقرة، الآية: 279.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: يهوى بالتكبير حين يسجد (حديث رقم 804)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج مكية

غير ست آيات وهي هذان خصمان إلى قوله: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾⁽¹⁾ وهي ثمان وسبعون آية.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَرٌّ عَظِيمٌ ﴿١﴾

الزلزلة شدة التحريك والإزعاج، وإن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها، ولا تخلو «الساعة» من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي، فتكون الزلزلة مصدرًا مضافًا إلى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف، وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾⁽²⁾ واختلف في وقتها، فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها، أمر بني آدم بالتقوى، ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم، ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتربوا به، وروي أن هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقراهما رسول الله ﷺ فلم ير أكثر بكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن النواب، ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً وكانوا من بين حزين وبك ومفكر⁽³⁾.

يَوْمَ سَرَوْهَا نَدَبًا كَلَّ مُرْضِعَةٌ عَنْهُ ارْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ غَمْلًا وَرَأَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

﴿يوم ترونها﴾ منصوب بـ ﴿تذهل﴾ والضمير للزلزلة. وقرئ: ﴿تذهل كل مرضعة﴾ على البناء للمفعول وتذهل

كل مرضعة أي: تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة.

فإن قلت: لم قيل ﴿مرضعة﴾ دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به⁽⁴⁾ فقيل: مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، وقد أقمتم الرضيع ثديها نزعتة عن فيه لما يلحقها من الدهشة ﴿عما أرضعت﴾ عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، قرئ ﴿وقرى﴾ بالضم من أريتك قائماً، أو رؤيتك قائماً و﴿الناس﴾ منصوب ومرفوع والنصب ظاهر، ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنته على تأويل الجماعة، وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبكسارى، نحو كسالى وعجالي وعن الأعمش سكرى وبسكرى بالضم، وهو غريب والمعنى: وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق، ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم، وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله. وتمييزه وقيل: وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى⁽⁵⁾ من الشراب.

فإن قلت: لم قيل أولاً ترون، ثم قيل: ترى على الإفراد؟ قلت: لأن الرؤية أولاً علقت بالزلزلة، فجعل الناس جميعاً راثين لها وهي ملقمة أخيراً بكون الناس على حال السكر، فلا بد أن يجعل كل واحد منهم راثياً لسايرهم.

وَرَأَى النَّاسَ مَن يُجْرِدُ فِي اللَّهِ يَغِيْرُ عَلَيْهِ وَيَتَّجِعُ كُلٌّ شَاكِلِينَ مَرِيْبِينَ ﴿٣﴾

قيل: نزلت في النضر بن الحرث، وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلي وصار تراباً، وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا يعرض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق

= بحمار فتنني عنه الحقيقة، فكنكك الآية بعد أن أثبت السكر المجازي نفي الحقيقي أبلغ نفي مؤكداً بالياء، والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدهوا قبله مثله، والاستدراك بقوله: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ راجع إلى قوله: ﴿وما هم بسكارى﴾ وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي، كأنه قيل: إذا لم يكونوا سكارى من الخمر، وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب؟ وما سببه؟ فقال: سببه شدة عذاب الله تعالى. ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أنه قال: هو الوقت الذي يقلل كل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه: نفسي نفسي.

(1) سورة الحج، الآية: 24.

(2) سورة الزلزلة، الآية: 1.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحج، (الحديث: 3169)، وأخرجه الحاكم في المستدرک، 567/4.

(4) قال أحمد: والفرق بينهما أن وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها، لكن مقتضاه أنه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل، وخروج الصفة عليه، وكذلك هو في الآية لقوله: ﴿عما أرضعت﴾ فأخرج الصفة على الفعل والحقه البناء.

(5) قال أحمد: والعلماء يقولون: إن من أكلة المجاز صدق نقيضه كقوله: زيد حمار إذا وصفته بالبلادة، ثم يصنع أن تقول وما هو=